

من مطوع كتاب «رسوم دار الخمر»

دنية القاضى فى العصر العباسى للأستاذ ميخائيل عواد

الدَّيْنِيَّةُ ونَجْمٌ عَلَى الدَّيْنِيَّاتِ ، قَلَنْسُوءَةٌ بِشَكْلِ الدَّنِّ (وهو الحُبُّ عِنْدَ المَرَقِيِّينَ لَهُ عُسُوسٌ) ، مَحْدُودَةُ الأَطْرَافِ ، طُولُهَا نَحْوُ شِبْرَيْنِ تَتَّخِذُ مِنْ وَرْقٍ وَفِضَّةٍ عَلَى قَصَبِ (عِيدَانِ) ، وَتُقْتَسَمُ بِالسَّوَادِ ، وَتَرَيْنَ أحيانًا بِشَتَاتِقِ صَفَرٍ طَوَالَ تَسَدُلِ عَلَى الصَّدْرِ كَانَ يلبسها القضاةُ عامَّةً ، فى العصور الإسلامية السالفة ، كما يلبسها الخطباءُ والأكابرُ أحيانًا

قال الشريشى فى شرح القامة التاسعة للجربرى : إن أصل الدَّيْنِيَّةِ : الدَّيْنِيَّةُ كسفينته ... وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ... إله . والصواب : أن الدَّيْنِيَّةَ عربية منسوبة إلى الدن وليست بالدَّيْنِيَّةِ (١)

والغريب أن هذه اللفظة وردت فى «النجوم الزاهرة» (٢) باسم «المدينة» وهذا تحريف ظاهر

وكان من أهم ماجريات سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، أن «أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السوادِ وقلائدٍ مازال تقدم بميدان من داخلها ، وأن يملقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : «فسيكفيكم الله وهو السميع العليم» .

فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزمى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرُّ حال ! وجهي فى نصفي ، وسيفي فى استي ،

- (١) الساعد (مادة دون) ؛ وهو معجم كبير وضعه الأب أنطاس مارى الكرملى ، ما زال مخطوطاً عنده . — وانظر : لسان العرب (١٧ : ١٧) ، وناج العروس (٩ : ٢٠٣) ؛ مادة دون ، وشنرات الذهب (١ : ٢٣٤) وتكملة الصحاح البرية لدوزى (١ : ٧٧٣) : Dozy : Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Leyde, 1881)
- (٢) النجوم الزاهرة لابن تترى بردى (٧ : ٢٠) ؛ طبع دار الكتب المصرية

وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعناه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد (١) . قال أبو الفرج الأصفهاني (٢) : «ونسخت من كتاب لابن النطاح ، فذكر مثل هذه القصة سواء وزاد فيها : وكنا نرُجِّي من إمام زيادةً جاد بطول زاده فى القلائد (٣) تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس (٤) والظاهر أن الرشيد لم يجب هذا التتمير الذى أحده المنصور من قبله ، فقد حكى الجاحظ أن الهامى الراجز «دخل على الرشيد لينشده شعرًا وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخقان دماقان ... فبكر من الغد وقد تريا بزى الأعراب فأنشده ...» (٥)

ثم جاء المتعمم فأعاد لبس القلائد الطوال تشبهاً بملوك الأعاجم ، فلبسها الناس اقتداءً به ، وسميت المتصميات (٦) .

ومما ذكره الجاحظ فى اختلاف الناس فى صنوف اللباس قوله : «... وهل ذلك إلا كتعظيم كور الهامة ، واتخاذ القضاة القلائد العظام فى حمارة القبيظ ، واتخاذ الخلفاء المهائم على القلائد ! فإن كانت القلائد مكشوفة زادوا فى طولها وحدة

- (١) و (٢) الأغاني (١٠ : ٢٣٦) ؛ طبعة دار الكتب ١١٥ : ٩ ؛ طبعة الساسى . — وانظر : تاريخ الرسل والملوك للطبرى (٣ : ٢٧١) ؛ طبعة دى غوبه) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٤ : ٢٢٠) ؛ طبعة سنة ١٩١٣ بمصر ١ : ٣٠٦ ؛ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٢٠) ؛ طبعة مرجليوث) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٥ : ٤٦٧) ؛ طبعة تورنبرج ، ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن السامى (س ١٨ بولاق) . — تاريخ مختصر الدول لزين العبرى (س ٢١٣) ؛ طبعة صالحانى) وغرر الحفاص الواضحة للوطواط (س ٢٠٢ بولاق) ؛ طبعة المطبعة الأدبية بمصر) ، ومحاضرة الأوائل للبسنوى (س ٨٥ بولاق)

(٣) وفى أغلب المراجع : «فزاد الامام المصطفى فى القلائد»

(٤) وفى بعض المراجع : «بالأطالس»

(٥) البيان والتبيين (١ : ٩٣) ؛ طبعة السندوبى) ، وعميون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (١ : ٩٣—٩٤) ؛ طبعة دار الكتب المصرية) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٢ : ١٣٩—١٤٠) ؛ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ وقد ذكر صاحب العقد المأمون بدلا من الرشيد فى هذه الرواية

(٦) مروج الذهب (٨ : ٣٠٢) ؛ طبعة باريس) ، وراجع الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لمتز (٢ : ١٨٧) ؛ الترجمة العربية

ما إن عليك لقيت منهم واحداً أوفى العجاج مدججاً في مفقر لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية وتبختر م بي أراهم مطرقين كأنما دمغت رؤوسهم بحمي خيبر أخبرنا ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال : لما عزل ابن أبي الليث ترك كثير من الشيوخ لباس القلانص ؛ منهم أبو ابراهيم المزني سمعت كهشمس بن معمر يقول : لما أمر ابن أبي الليث بطرح القلانص لم يثبت على لباسها إلا محمد بن رمح فلم يعارض

أخبرني اسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم أن النيل كان توقف ؛ فاستسقى أهل مصر وحضر ابن أبي الليث الاستسقاء ، فوثب المصريون بسبب غلاء القمح ؛ وأخذوا قلنسوته فلبعوا بها بمد ما فعل بقلانص أهل مصر بثمانية أيام^(١) والظاهر أن الدننات كان قد ضعف شأنها ، وقل استعمالها في بغداد ، في المائة الخامسة للهجرة ، فقد أشار إلى ذلك هلال ابن الحسن الصابي^(٢) (التوفي سنة ٤٤٨ هـ) في عرض كلامه على جلوس الخلفاء وما يلبسونه في المواكب ، وما يلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف . قال : هـ ... فأما العباسيون من أرباب المراتب ، فزيهم السواد بالأقبيبة المولدة والخفاف ، ولهم منازل في شد المناطق والسيوف وتقلدها ؛ اللهم إلا أن يكون منهم من قد ارتسم بالقضاء ، فله أن يلبس الطيلسان . وأما قضاة الحضرة ومن أهل للسواد من قضاة الأمصار والبلاد ؛ فبالقمص والطيا لسة والدننات والقراقفات^(٣) ، وقد تركت الدننات والقراقفات في زماننا وعدل إلى الهام السود المصقولة^(٤)

(١) الولاة والقضاة للكندي (ص ٤٦٠ - ٤٦٢)

(٢) القراقفات جمع قراقف ، وقراقف جمع قرقة . والكلمة لامية من قرقنتا . وهي من القلانص المستديرة الضخمة التي تلبس في الرأس وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين - أنظر دليل الراغبين في لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين من السكنداني ص ٧٠٩ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل ، (المساعد)

(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٢٦ - ١٢٧ من المخطوط) ؛ وهو كتاب أعدناه للتمر بعد أن حققناه وعلفنا عليه ، وألحقنا به فهرس منفصلة ، وملاحق متنوعة . والنال الذي بين يديك أحد تلك الملاحق . طالع ما كتبهه بشأنه في مجلة الرسالة (العدد ٣٦٢ ص ٩٧٧ - ٩٨٠) وهناك إشارات متفرقة عنه في : مجلة الثقافة (العدد ٩٨ ، ص ٣٩) ، والمقتطف (٩٨ [مارس ١٩٤١] ص ٢٤١) ، ومجلة غرفة تجارة بغداد (العدد الثالث ، آذار ١٩٤١ ، ص ٢١١) .

رؤوسها حتى تكون فوق قلانص جميع الأمة ...^(١) .

ولم يكن لبس الدننات قاصراً على قضاة العرب ، بل تعداهم إلى غيرهم من الأمم ، فهذا الاسطخري الرحالة البلداني يقول في عرض كلامه على صور أهل فارس وزبيهم : « ... وأما قضائهم فإنهم يلبسون الدننات وما أشبهها من القلانص المشمرة عن الأذنين ، مع الطيا لسة والقمص والجباب ، ولا يلبسون دراعة ولا خفاً بكسرة ، ولا قلنسوة تغطي الأذنين ...^(٢) »

وكان القضاة يتفردون بلبس هذه القلانص الطوال أيها وجدوا ، وقد يدفعهم الأمر إلى منع كافة الناس من لبسها . فقد أنبأنا الكندي في نحو سنة ٢٣٠ هـ بقوله : « كان زيُّ أهل مصر وجمال شيوخهم ، وأهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانص الطوال ؛ كانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن أبي الليث [القاضي] بتركها ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا . قال ابن عثمان : جلس ابن أبي الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانص ؛ فأقبل عبد النبي ومطر جميعاً فضر بارءوس الشيوخ حتى ألغوا قلانسهم . قال : وأخبرني محمد بن أبي الحديد قال : حدثني عتبة بن بسطام قال : رأيت قلانص الشيوخ يومئذ في أيدي الصبيان والرتاع يلبسون بها ، وكانوا بمد ذلك لا يدخلون إلى ابن أبي الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة

وأنشدها لاسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم للجمل :

وأخت أيام الطوال وأهلها فرموا بكل طويلة لم تقصر
ما زلت تأخذهم بطرح طولهم والمشي نحوك بالراءوس الحسّر
حتى تركهم يرون لباسها بعد الجلال خطية لم تقفر
يتفزعون بكل قطعة خرقة يجدونها من أعين ومخبر
فإذا خلا بهم المكان مشوا بها وتأبطوها في المكان الأحمر
فلئن ذعرت طولهم لطلالاً ذعرت ومن برؤاها لم يذعر
كانوا إذا دلفوا بهن لفضل كم موسى أقرته ومقصر
كم موسى أقرته ومقصر أغنيته من بمد جهد مقصر

(١) البيان والبيان (٣ : ٨٠)

(٢) مسالك المالك (ص ١٣٧ - ١٣٨) ، وأنظر صورة الأرض

لابن لابن حوقل (ص ٢٨٩ طبعة كرهوز)

فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله ، فعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوى فألصقها في موضع دنته بالدبق وتمكن منها . فلما تقدم إليه الخصوم ، وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل ؛ انكشف رأسه وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة ، فقام الخليجي مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه ففطى رأسه بطيلسانه وقام فانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعرانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات :

إن الخليجي من تناهيه أتقل باد لنا بطلمته
ما إن لدى نخوة مناشبة بين أخاوينه وقصته
يصالح الخصم من يخاصمه خوفاً من الجور في قضيته
لو لم تدبكه كف قابضه لطار منها على رعيته^(١)

(البقية في العدد القادم) — بغداد ميخائيل عواد

(١) الأغاني (١٠ : ١١٧ - ١١٨ ، الساسي - ١٠ :
١٢٣ ، بولاق) ، ومجموع الأدباء (١ : ٣٧٢ - ٣٧٤ طبعة
مرجليوت)

وكانت الدننات تبرز في أيام مواكب الخلفاء في بغداد ؛ إذ يحضر صفوف الناس على مراتبهم ورسومهم . قال هلال الصابي* : « وإذا اتفق يوم الموكب حضر حاجب الحجاب بأكل لباسه : من القباء الأسود المولد ، والبهامة السوداء ، والسيف ، والتنظقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤه ، وجلس في الدهليز من وراء الستر ، وحضر الوزير وأمير الجيش ، ومن له رسم في حضور الموكب ؛ فإذا تكامل الناس راسل الخليفة بذلك ، فإن أراد أن يأذن الإذن العام ، خرج الخادم الحرى الرسائل فاستدعى حاجب الحجاب ودخل وحده حتى يقف في الصحن ، ويقبل الأرض ، ثم يرسم له إيصال التقوم على منازلهم ، فيخرج ويدعو ولي العهد ، إن كان في الوقت ولي عهد ، وأولاد الخليفة ، إن كان له ولد ، ثم يدخل الوزير ، ويمشي الحجاب بين يديه إلى أن يقرب من السرير . . . وأدخل بعده أمير الجيش . . . ثم أصحاب الدواوين والكتاب ، وأوصل القواد يقدمهم خلفاء الحجاب على مراتبهم ودعوم ، ووقفوا يمينا وشمالاً على رسومهم ، ونودي ببني هاشم ومن يلبس الدنيات ويتقلد الصلوات ، فيقدمون إلى أول البساط ويسلمون ويقفون مفردين^(١) »

للدنية أخبار طريفة كانت في أكثرها مدعاة للسخرية منها ، والتمثيل بها . فقد روى أبو الفرج الأصفهاني حكاية قال فيها :
أخبرنا محمد بن خلف وكيع ، قال : كان الخليجي القاضي واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المنى ، وكان نياهاً صلفاً ، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشرقية^(٢) ؛ فكان يجلس إلى اسطوانة من أساطين المسجد ، فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك ،

(١) رسوم دار الخلافة في ١٠٧ ،
١٠٩ المخطوط

(٢) يقصد قضاء الجانب الشرقي
من بغداد

ستوديو مصر يقدم أبطال الكوميديا والرشاقة في مصر
سليمان نجيب . أمينة شكيب . تحية كاريوكا . فؤاد شفيق
مع نخبة كبيرة من أئمة الممثلين والممثلات في

انجرا تزوجت

إخراج الأستاذ جمال مدكور

حالياً - ٤ حفلات يومياً

بسينما ستوديو مصر